

الفصل الأول

وضعية أهل السنة بالمجتمع المصرى قبل العصر الفاطمى

المبحث الأول: وضعية أهل السنة السياسية.

المبحث الثانى: وضعية أهل السنة العلمية والفكرية.

المبحث الثالث: الدور الدينى لأهل السنة.

أهل السنة في مصر الفاطمية.....(358هـ - 567هـ/969م-1171م)

obeikandi.com

المبحث الأول: وضعية أهل السنة السياسية

عرفت مصر الإسلام على يد الصحابي الجليل عمرو بن العاص رضى الله عنه في العام 21 هـ، ومنذ ذلك التاريخ، ومذهب أهل السنة والجماعة⁽¹⁾ هو المسيطر على أهلها وحكامها في الحكم والقضاء إلى يوم الناس هذا باستثناء عصر الدولة الفاطمية الذى أصبح فيه المذهب الشيعى الإسماعيلى هو المذهب الرسمى فى القضاء والأحكام، وإن ظل عموم الشعب على سنتهم، ويتحاكمون إلى مذاهبهم الفقهية.

(1) قال ابن حزم: " وأهل السنة الذين نذكرهم أهل الحق، ومن عداهم فأهل البدعة فإنهم الصحابة -رضى الله عنهم-، وكل من سلك نهجهم من خيار التابعين -رحمهم الله تعالى، ثم أصحاب الحديث ومن اتبعهم من الفقهاء جيلاً فجيلاً إلى يومنا هذا، ومن اقتدى بهم من العوام في شرق الأرض وغربها -رحمة الله عليهم" أنظر: الفصل فى الملل والأهواء والنحل، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1416هـ/1996م، 371/1.

وقد عرف هذا المصطلح منذ القرن الأول الهجرى حيث ثبت عن ابن عباس (ت 68هـ) فى تفسير قوله تعالى "يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ" [آل عمران: 106] قال: يعنى يوم القيامة حين تبيضُّ وجوه أهل السنة والجماعة؛ وتَسْوَدُّ وجوه أهل البدعة والفرقة ". وعن سعيد بن جبیر رحمه الله فى تفسير قوله تعالى: (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى) [طه: 82] قال: ثم استقام. قال: لزوم السنة والجماعة. أنظر: اللالكائى: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تحقيق أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة - السعودية، الطبعة الثامنة، 1423هـ / 2003م، 72/1 ؛ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، المكتبة التوفيقية، القاهرة، 390/1.

واستخدم محمد بن سيرين (ت 110هـ) مصطلح أهل السنة، فقد أخرج مسلم فى مقدمة صحيحه بسنده إلى ابن سيرين أنه قال: " كانوا لايسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة، قالوا: سَمُّوا لنا رجالكم، فيُنظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، ويُنظر إلى أهل البدعة فيردّ حديثهم" ، ثم تتابع الناس على استعمال هذا المصطلح: فقد قال أيوب السخيتانى (ت 131هـ) فيما أخرجه اللالكائى: "إني أُخبر بموت الرجل من أهل السنة، وكأني أفقد بعض أعضائي" وقال أيضاً: "إن من سعادة الحدّث والأعجمى أن يوفقهما الله لعالم من أهل السنة"، وقال الثورى (ت 161هـ): "استوصوا بأهل السنة خيراً؛ فإنهم غرباء" وقال: "ما أقل أهل السنة والجماعة"، وقال الفضيل بن عياض (ت 187هـ): "...ويقول أهل السنة "الإيمان المعرفة والقول والعمل"، وقال الإمام أحمد (ت 241هـ): "... هذه مذاهب أهل العلم، وأصحاب الأثر، وأهل السنة المتمسكين بعروتها، المعروفين بها، المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى يومنا هذا.....". أنظر: محمد باكريم: وسطية أهل السنة بين الفرق، دار الراية، ط1، 1415هـ/1994م، ص 41.

ويتضح الدور السياسي لأهل السنة في المجتمع المصري قبل العصر الفاطمي، من خلال توسيد بعض المناصب العليا إليهم كالقضاء الذي كان من اختصاص الخليفة العباسي أو قاضي القضاة في بغداد، ومع ذلك فكان لا بُدَّ من موافقة الأمير الإخشيدى على القاضي المعين، وكان الحاكم الإخشيدى في بعض الحالات يُعيِّن القضاة دون الرجوع إلى الخليفة⁽¹⁾، وكان مجلس القضاء يتم في جامع عمرو بن العاص، ويخصص للقاضي يومين في الأسبوع، ويمنع المصلين من الاقتراب منه، ويباعد بين كتابه وبين الخصوم⁽²⁾.

وتطلعنا المصادر على وقائع تؤكد حرص قضاة مصر السنة على تحقيق التعايش السلمى فسمع عن القاضي خير بن نعيم الحضرمي (ت 128هـ) الذي كان يقضى بين المسلمين في المسجد، ويجلس على باب المسجد بعد العصر يقضى بين النصارى، وكان يقبل شهادة النصارى على النصارى واليهود على اليهود، ويتحقق من عدالة الشهود بين أهل دينهم⁽³⁾، ونجد القاضي محمد بن مسروق الكندى (ت 184هـ) يسمح للنصارى المتخاصمين بالدخول للمسجد كالمسلمين ليقضى بينهم، وكان القضاة قبله يجعلون للنصارى يوماً في بيوتهم⁽⁴⁾.

وفي المقابل رأينا شدة من القضاة على النصارى حال التطاول على شخص النبي ﷺ وسبه. فقد أورد لنا الكندى خبراً مفاده أن نصرانياً سب النبي في ولاية علي بن سليمان، وكان قاضي مصر آنذاك المفضل بن فضالة فكتب فيه القاضي إلى الإمام مالك بن أنس يسأله عن قتله فكتب مالك يأمر بقتله، ومن ثم قتل هذا النصراني⁽⁵⁾؛ ولا شك أن خطورة هذه الفتوى كانت وراء استشارة القاضي لشخصية كمالك بن أنس الذي كانت له الحظوة لدى الكثيرين من المسلمين وأهل العلم وقتها، ولا يزال.

(1) سيده إسمايل كاشف: مصر في عصر الإخشيديين، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1989م، ص 308، 214.

(2) الكندى: كتاب الولاية وكتاب القضاة، بيروت، 1908م، ص 443.

(3) نفسه، ص 351.

(4) نفسه، ص 390، 391.

(5) أنظر: الولاية والقضاة، ص 382.

كذلك حرص القضاة على رفض أى وساطة أو شفاعة في الأحكام ومن ذلك أن توبة بن نمر الحضرمي (ت 120هـ) ولي القضاء دعا امرأته عفيرة فقال لها: يا أم محمد، أي صاحب كنت لك؟ قالت: خير صاحب وأكرم، قال فاسمعي: لا تعرضي لي في شيء من القضاء ولا تسأليني عن حكومة ولا تذكريني بخصم، فإن فعلت شيئاً من هذا فأنت طالق، فإما أن تقيمي مكرفة وإما أن تذهبي ذميمنة. فانقلت عنه فلم تكن تأتيه إلا في الشهر والشهرين⁽¹⁾.

وكان القاضي الحنفى يحكم بقواعد المذهب الحنفى كإسماعيل بن اليسع الكندى (ت 167هـ)⁽²⁾، والقاضي المالكي يقضى بقواعد المذهب المالكي كإسحاق بن الفرات⁽³⁾، وأحياناً ما يرجع القاضي في أحكامه إلى أقوال المشاهير من أهل العلم من غير مذهبه كأبى الطاهر عبدالملك بن محمد الحزمي المالكي (ت 174هـ) الذي كانت أحكامه على مذاهب ابن القاسم وسالم وابن شهاب وربيعة، ومذاهب أهل المدينة⁽⁴⁾.

وتجدر الإشارة إلى أن بعض القضاة كانوا يتعرضون للسجن لرفضهم الرضوخ لمطالب الحاكم، ومن أن القاضي الحنفى بكار بن قتيبة لما رفض خلع الموفق حبسه أحمد بن طولون. فطلب منه أصحاب الحديث أن يأذن لهم بالسماح عن القاضي ابن قتيبة في سجنه فأذن لهم ابن طولون. فكان القاضي يحدثهم حتى مات⁽⁵⁾.

وقد نجح بعض القضاة في الدوران في فلك السلطة وحققوا مكاسب مادية كبيرة، ومن هؤلاء القاضي محمد بن عبده بن حرب الذى تقرب من الطولونيين وانتفع من قربه ذاك، فقد كان يتقاضى من خمارويه بن أحمد بن طولون ثلاثة آلاف دينار في الشهر، وبنى داراً عظيمة أنفق عليها مائة ألف دينار⁽⁶⁾. وقد انعكست هذه المكاسب المادية التى حققها القضاة في

(1) نفسه، ص 342، 343.

(2) القلقشندى: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تقديم فوزى محمد أمين، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2004م، 1/418.

(3) نفسه، 1/419.

(4) الكندى: الولاية والقضاة، ص 383.

(5) نفسه، ص 478.

(6) نفسه، ص 516؛ وانظر: حسن أحمد محمود: حضارة مصر الإسلامية في العصر الطولونى، دار الفكر العربى، القاهرة، (د.ت) ص 186، 188.

أهل السنة في مصر الفاطمية..... (358هـ - 567هـ/969م-1171م)

العصر الطولوني على احتفالاتهم فنسمع في عرس ابن القاضي أبي زرعة محمد بن عثمان الدمشقي من ابنة الحسين بن أحمد، عن النفقات الطائلة التي أنفقت فيه ما يفوق الأملاك فيذكر الكندي أن الحسين بن أحمد كتب أسماء مائة فرد فحضرها فأخرج إليهم مائة غلام بمائة قدح غالية، ومائة قمقم ماء ورد ومائة مشط ومائة مرآة، وذلك قبل العرس، ثم في النكاح خرج مائة غلام بمائة طست ومائة أبريق وعشر موائد، ونثرت عقد الدنانير ووزعت تماثيل الند والعنبر وطيف عليهم بالطيب والبخور⁽¹⁾.

وكان هناك تنافس وتهاقت كبيراً على منصب القضاء، وكانت تبذل الرشاوي من أجل ذلك، فعندما مات محمد بن عبدالله الخصبي سعى ابن وليد لدى كافور لتولي منصب القضاء، وبذل لكافور مالاً في هذا السبيل، ولكن أعوان كافور وخاصته نصحوه برفض طلبه، فعين كافور على القضاء أبا طاهر الذهلي⁽²⁾، والذي ظل في منصبه حتى بعد دخول الفاطميين كما سنفصل بالفصل الأول من هذه الدراسة.

وأحياناً ما كانت تقع النزاعات بين القاضي وأحد الفقهاء في حضرة الحاكم، ومن ذلك تنازع أبو بكر بن الحداد الفقيه وأبو الذكر محمد القاضي المالكي، وعبدالله بن الوليد في حضرة الإخشيد، وجري بينهم لغط كثير، فلما انصرفوا، قال الإخشيد: يجري هذا في مجلسي! كدت والله أن أمر بأخذ عمائمهم⁽³⁾.

وقد حرص الإخشيد على اختبار فقهاء السنة فإذا استحسّن جوابهم ولاهم وقربهم منه، فقد روي أنه كان بعصر رجل يعرف بأبي القاسم بن عمرو بن نافع، وكان مشهوراً بعدله عند الشهود، وكان له ولد يُكنى أبا جعفر يتفقه للشافعي، وكان أبو جعفر قد خرج إلى العراق فمكث هناك سنيناً ثم رجع إلى الشام، فأدخله أبو علي إلى الإخشيد بدمشق وعرف به، ووصفه له، فقال له الإخشيد: أبوك الأبرص، قال: نعم، فقال له: لمن تتفقه، قال: للشافعي،

(1) الكندي: الولاية والقضاة، ص 521-526.

(2) الكندي: أخبار قضاة مصر، ص 173-174؛ وانظر: سيدة إساعيل كاشف: مصر في عصر الإخشيديين، ص 214-215.

(3) ابن سعيد: المغرب في حلّ المغرب، نشر زكي محمد زكي، سيدة كاشف، شوقي ضيف، مطبعة جامعة القاهرة، 1953م، ص 182.

أهل السنة في مصر الفاطمية..... (358هـ - 567هـ/969م-1171م)

فقال له الإخشيد: أيش معنى قول المزني: "اختصرت هذا من قول الشافعي، ومن معنى قوله"؟ فأجاب أبو جعفر، وكانت هذه صنعة فأحسن الجواب، واستحسن الإخشيد الجواب فولاه مظالم سواحل مصر⁽¹⁾.

ومن الوظائف التي وسدت إلى أهل السنة، ولكنها كانت قاصرة على الفاتحين قبل قيام الدولة الطولونية منصب صاحب الشرطة الذي كان يولى من قبل والى مصر أو من قبل الخليفة⁽²⁾، وكان أمر استتباب الأمن راجع إلى صاحب الشرطة الذي يقمع المفسدين بشدة وحزم، كما كان يهتم بنشر الفضيلة والمحافظة على الأخلاق، وأحياناً ما يتشدد فيمنع النساء من الخروج من بيوتهن والتوجه إلى الحمامات والمقابر، كما كان يسجن المؤنثين والنوائح مثلما فعل أرخوز صاحب الشرطة في ولاية مزاحم بن خاقان سنة 253هـ⁽³⁾.

كذلك وسد إلى أهل السنة في مصر منصب صاحب البريد، وكان أيضاً قاصراً على الفاتحين قبل قيام الدولة الطولونية، وارتبطت وظيفته بالخلافة وعمالها أكثر من ارتباطها بمصر في ذلك التوقيت⁽⁴⁾، وقد ذكر الكندي أن صاحب البريد في ولاية داود بن يزيد بن حاتم أراد أن يتدخل في عمل قاضي مصر عبد الملك بن محمد الجزمي فلم يكن من القاضي إلا أن استعفى من منصبه⁽⁵⁾.

وقد حقق صاحب البريد مكاسب مادية غير مسبوقه في ظل الدولة الطولونية. حيث تخبرنا المصادر أن ثروة الحسن بن مهاجر عامل البريد في عهد أحمد بن طولون بلغت نحواً من مائة ألف دينار في رواية ابن سعيد⁽⁶⁾، في حين قدرها المقريزي بنحو مليون دينار⁽⁷⁾.

(1) نفسه، ص 181.

(2) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 216/2؛ وانظر: سيدة الكاشف: مصر في فجر الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1999م، ص 24.

(3) ابن تغرى بردى: مصدر سابق، 337/1.

(4) سيدة الكاشف: مصر في فجر الإسلام، ص 27.

(5) أنظر: الولاة والقضاة، ص 384.

(6) أنظر: المغرب، ص 107.

(7) أنظر: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، 1/330، 331.

أهل السنة في مصر الفاطمية..... (358هـ - 567هـ/969م-1171م)

كذلك لعب أهل السنة بمصر دوراً مهماً في الجهاد وغزو العدو إذ إن الروم لما نزلوا دمياط سنة 238هـ في خلافة المتوكل العباسي وولاية عنبسة بن إسحاق على مصر وقع الاهتمام بالاسطول، وجعلت الأرزاق لغزاة البحر كما هي لغزاة البر، وانتدب الأمراء له الرماة، فاجتهد الناس بمصر في تسليم أولادهم الرماية وجميع أنواع المحاربة⁽¹⁾.
وقد تجلّى لنا دور أهل السنة بمصر بشأن النزاع بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان عقب استشهاد عثمان بن عفان في العام 35هـ، فترى شيعة عثمان في مصر يبائعون معاوية بن خديج على الطلب بدم عثمان فسار بهم إلى الصعيد، وأرسل ابن أبي حذيفة من يجار بهم، والتقى الفريقان في إحدى قرى البهنسا، وكان النصر حليف شيعة عثمان، ثم أرسل ابن أبي حذيفة جيشاً آخر فكان نصيبه الهزيمة على يد شيعة عثمان⁽²⁾، ولعل قوة شيعة عثمان بمصر كانت من وراء صيحاء قتلة عثمان الذين أتوا الفسطاط ودخلوا المسجد بالقول: "إننا لسنا قتلة عثمان ولكن الله قتله"⁽³⁾.

وفيما يخص دور أهل السنة في الحياة السياسية فتطالعنا المصادر بخبر عن طائفة بالإسكندرية عرفت بالصوفية كانوا يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر، وعارضوا السلطان في أمره واتخذوا رئيساً لهم منهم يقال له أبو عبدالرحمن الصوفي، واتحد معهم الأندلسيون⁽⁴⁾ وساروا إلى عمر بن هلال والى الإسكندرية فحاصروه وانتهى الأمر بقتله في العام 200هـ⁽⁵⁾. أصبح الأندلسيون أصحاب السلطة الفعلية في الإسكندرية، وتؤكد

(1) نفسه، 191/2.

(2) سيدة الكاشف: مصر في فجر الإسلام، ص 122، 123؛ وانظر: السيد عبدالعزيز سالم: تاريخ مصر الإسلامية حتى نهاية العصر الفاطمي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997م، ص 47.

(3) الكندي: الولاية والفضاة، ص 18.

(4) كان الأندلسيون يأتون إلى الإسكندرية للتجارة، ولكن ولاية مصر ما كانوا يسمحون لهم بالدخول فيها إلا هذه المرة فإن الأندلسيين لما طردوا في عهد الأمير الحكيم بن هشام الأموي على أثر موقعة الربيض بقرطبة سنة 198هـ. فرسا فريق منهم بالقرب من الإسكندرية وكان عددهم حوالي خمسة عشر ألفاً باستثناء النساء والأطفال. أنظر: الكندي: الولاية والفضاة، ص 158؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار الفكر، القاهرة، 210، 209/6؛ المقرئ: المواظ والاعتبار، 172/1؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، 158/2.

(5) الكندي: الولاية والفضاة، ص 161، 162؛ وانظر: صديق شيبوب: جمهورية أندلسية بالإسكندرية، مجلة الكتاب، 1949م، ص 233، 234؛ صفاء عبدالحافظ: الموانئ والثغور المصرية من الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر الفاطمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2010م، ص 51.

أهل السنة في مصر الفاطمية..... (358هـ - 567هـ/969م-1171م)

سلطانهم بعد ما هزموا اللخمين وملكوا الإسكندرية عنوة في ذى الحجة 200هـ، وولوا عليها أبا عبدالرحمن الصوفي، والذي اضطرت الأحوال في عهده وعم القتل والنهب فيها، فعزله الأندلسيون وولوا عليهم رجلاً منهم يعرف بالكناني⁽¹⁾.

ويرتبط بالدور السياسي لأهل السنة ما قام به العلويون⁽²⁾ من ثورات في عهد أحمد بن طولون. الذي سمح بإيواء جماعات منهم، ورغم ذلك ثاروا ضده أكثر من مرة، ومن ثم لم يكن يتهاون في قتال الثائرين منهم إبراهيم بن محمد بن يحيى بن عبدالله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الصوفي العلوي سنة 253هـ بثغر أسوان، فجرد إليه ابن طولون جيشاً هُزم في المرة الأولى، ثم أرسل جيشاً ثانياً نجح في الإيقاع بابن الصوفي⁽³⁾، ومن خرج على ابن طولون من العلويين عبدالله بن طباطبا في موضع قرب الإسكندرية سنة 255هـ فأرسل ابن طولون جيشاً إليه هزمه وقضى على ثورته⁽⁴⁾.

ويرتبط بثورات العلويين السنة ضد أحمد بن طولون ثورة سنوية أخرى لكنها عمرية هذه المرة قام بها أبو عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحميد العمري - يرجع نسبه إلى أمير المؤمنين

(1) الكندي: مصدر سابق، ص 163، 164؛ وانظر: المقرئ: المواعظ والاعتبار، 1/173.

(2) العلويون: هم من ينتسبون إلى علي بن أبي طالب، ويصح نسبهم، وهم سنة في المجلد، ولذا فمن يدعى الشيعة أنهم أئمتهم فهم أقطاب أهل السنة كالحسن والحسين ومحمد الباقر وموسى الكاظم وجعفر الصادق وغيرهم من أبناء علي وفاطمة الذين لم يثبت عنهم الطعن في أصحاب النبي، وهؤلاء غير الطائفة العلوية النصيرية التي هي طائفة من الشيعة الجعفرية الإثني عشرية، والتي تؤمن بالدعوة الباطنية، وقد أسسها أبو شعيب محمد بن نصير العبدي البكري النميري التميمي، الذي عاش في سامراء العراق، ويُذكر دائماً من قبل أتباعه أنه أحد أصحاب الإمامين علي الهادي والحسن العسكري، ويعتقد أتباعه أنه أحد كبار العلماء، وأنه "باب" الإمام، والمؤمن على أسراره، بينما يعتبره غيرهم من الشيعة الإثني عشرية، أنه من الأديعاء ولا يُركن إلى كلامه، وللعلويين أفكار واعتقادات خارجة عن الإسلام تماماً كادعائهم ألوهية علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقولهم بتناسخ الأرواح، وحبهم لابن ملجم قاتل علي بن أبي طالب، وتعظيمهم للخمر، وأن الفرائض والعبادات ما هي إلا أغلال وضعت على الجهلة المقصرين لعدم اعتقادهم بأسرار الحقيقة الإلهية. لمزيد من التفاصيل عن معتقدات القوم من نصوصهم مقارنة بنصوص غيرهم أنظر: محمد أحمد الخطيب: الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، مكتبة الأقصى، عمان، ط2، 1406هـ/1986م، ص 341-416.

(3) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، 3/6، 7.

(4) الكندي: الولاة والقضاة، ص 212؛ وانظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، 3/6؛ صفاء عبدالحافظ: مرجع سابق، ص 54، 55.

أهل السنة في مصر الفاطمية..... (358هـ - 567هـ/969م-1171م)

عمر بن الخطاب- بأسوان ضد أحمد بن طولون سنة 255هـ وتزعم القبائل العربية الذارية هناك من ربيعة وجهينة، وخرج بهم يدفع اعتداء النوبة والبجة⁽¹⁾، وانتصر عليهم وتوغل في بلادهم وجبى الجزية من البجة، وهنا أدرك ابن طولون خطورة حركة العمرى فأرسل له جيشاً لكنه هُزم على يد العمرى، الذى ما لبث أن انقسمت القبائل التى صحبتته وخرج بعضها عليه، وانتهى أمره بأن قتل على يد بعض غلماناه⁽²⁾.

وتجدد الإشارة إلى أن فقهاء السنة في عصر الإخشيديين واجهوا اعتداءات الفاطميين على مصر بفتاوى تستنفر همم المصريين للخروج لقتالهم باعتبارهم خوارج ومغيرين للسنة، ومضللين للأمة. فقد انبرى الطحاوى (ت 321هـ) إمام الحنفية في عصره يدعو المصريين لمواجهة الفاطميين بقوله: "أيها الناس اخرجوا إلى هؤلاء القوم فإنهم خوارج وجهادهم عليكم واجب لأنهم يغيرون السنة ويفرقون الدعوة ويضلون الأمة". فخرج الناس إليهم عنقاً واحداً فهزموهم وردوهم وغنموا منهم غنائم كثيرة⁽³⁾.

وتجدد الإشارة إلى أن حكام مصر السنة قبل العصر الفاطمى كانوا يحرصون على الحرية الفكرية، وعلى تحقيق التعايش السلمى في دولتهم، فرغم مواجهتهم للمعتقدات المخالفة لأهل السنة، ومنها المعتزلة فقد قربوا سببوية المصرى منهم رغم اعتزاله⁽⁴⁾ ونشره لرأيه بشأن

(1) المقرئى: المواعظ والاعتبار، 196/1. والبجة أو البجا أو البجاة اسم يطلق على القبائل التى تسكن ما بين ساحل البحر الأحمر ونهر النيل فى السودان وعلى امتداد من الشمال مروراً بمنطقة مثلث حلايب، وجنوباً ما بين باضع (مصوع حالياً) وجزر دهلك إلى منطقة بركة فى داخل الحدود الإترتية ومن ثم الامتداد غرباً إلى قلع النحل والقلايات والقضارف والبطانة ونهر عطبرة فى السودان، وهم من أقدم الشعوب الأفريقية يعود نسلهم إلى كوش بن حام بن نوح. وقيل إلى سام بن نوح، وكانوا معاصرين لفراعنة مصر وفى حروب دائمة معهم. ويتحدث البجا لغتهم (البجاوية) التى ينتسبون إليها، وهى لغة كوشية قديمة لا يعرف لها حرف مكتوبة اليوم واللغة السائدة عند أغلبية البجا هى البداويت، والتجري هى اللغة الرسمية لسادات البجا وه والبشارين. لمزيد من التفاصيل عنهم أنظر: المقرئى: المواعظ والاعتبار، 1/313-319.

(2) البلوى: سيرة أحمد بن طولون، تحقيق محمد كرد على، دمشق، 1939م، ص 67.

(3) المقدسى: أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، ليدن، ط2، 1909م، ص 234.

(4) أخذ سببويه الاعتزال عن أبى على محمد بن موسى القاضى الواسطى، وكان وجه المتكلمين بمصر. أنظر:

ابن زولاق: أخبار سببويه المصرى، مطبعة النصر، مصر، ط1، 1937م، ص 18.

أهل السنة في مصر الفاطمية..... (358هـ - 567هـ/969م-1171م)

القول بخلق القرآن فقد ذكر ابن زولاق أن سيبويه كان يصيح قائلاً: الدار دار كفر، حسبكم أنه ما بقي في هذه البلدة العظيمة أحدٌ يقول: القرآن مخلوق إلا أنا وهذا الشيخ أبو عمران - أبقاه الله - فقام أبو عمران يعدو حافياً خوفاً على نفسه حتى لحقه رجل بنعله⁽¹⁾، بل كان يتحدث عن القدر في المسجد حيث ذكر ابن زولاق أن سيبويه تكلم ذات يوم في المسجد الجامع في القضاء والقدر، فقال له رجلٌ: فكيف أعمل إذا أمرني وحال دون ما أمر، فصاح به سيبويه، وقال: كيف قلت؟ وضرب له مثلاً لشرطي قال لغلامه قبل صلاة الجمعة: امض واشتر لي جدياً من صفته كذا، واذبحه واشويه، واعمل لي حلواً ولا تتأخر، وقدمه لي إذا انصرفت من الصلاة، ثم بدأ الغلام في التنفيذ، وأمر الشرطي أعوانه بحبس الغلام، فعندما انتهى الشرطي من الصلاة جاء بالغلام وقال له: أين الذي أمرتك به؟ فقال: أعوانك حبسوني بأمرك، فلم أستطع فعل ما أمرتني به، ثم قال له سيبويه: أما كان هذا الشرطي يستحقُّ بهذا النعل⁽²⁾.

ورغم هذه النزعة الاعتزالية عند سيبويه المصري فلما سمع الإخشيد به وأنه عالمٌ في كلِّ فن، طلب من غلامانه أن يأتوا به، فعندما جاؤوا به، طلب الإخشيد من أبي الحسن السامري، وكان ينقطع إلى الإخشيد أن يسأل سيبويه: لم تيَّه الله بني إسرائيل أربعين سنة دون ثلاثين ودون خمسين، فسأله فقال: نعم؛ إنما تيَّه الله بني إسرائيل عقوبةً، فجعلها أربعين سنة؛ لأنَّ الجسد يقبل الغذاء والنماء أربعين سنة، فإذا خلفها وراءه ردَّ الغذاء والنماء، فجعل الله أربعين سنة جزاء أربعين النعم، فاستحسن الإخشيد الجواب، وأمر الوزير صالح بن نافع أن يُجري على سيبويه دينارين لكل شهر، فكان أبوه يقبضهما إلى أن مات، فظلَّ سيبويه يقبضهما إلى أن توفي صالح بن نافع سنة 340هـ⁽³⁾. وكذا أجرى الوزير محمد بن علي بن مقاتل وزير الإخشيد على سيبويه المصري خمسة دنانير كلَّ شهر⁽⁴⁾.

(1) ابن زولاق: أخبار سيبويه المصري، ص 18، 19.

(2) نفسه، ص 23، 24.

(3) ابن زولاق: أخبار سيبويه المصري، ص 26، 27.

(4) نفسه، ص 35.

وكان الأمراء الإخشيديين - على اختلافهم - قد جالسوا سيويه المصري تلميذ ابن الحداد وتزيّنوا بالصبر والجلد أمام نقده اللاذع، وتهكّمه المرّ الشديد. فقد روي أنّه رأى الناس يوم الجمعة قد اجتمعوا واحتشدت بهم الطرقات، فصاح بهم، ما هذه الأشباح الواقفة والتماثيل العاكفة، سلط عليهم قاصفة، يوم ترجف الراجفة، تتبعها الرادفة، وتغلي قلوبهم واجفة! فقال له رجل: أهو الإخشيد ينزل للصلاة، فقال: هذه للأضلع البطين، المسمن البدين، قطع الله منه الوتين، ولا سلك به ذات اليمين، ما كان يكفيه صاحب ولا صاحبان، ولا حاجب ولا حاجبان، ولا تابع ولا تابعان، لا قبل الله له صلاة، ولا قرب له زكاة، وعمر جثته الغلاة⁽¹⁾.

وكذلك روى الحسن بن زولاق: "ترك كافر يوماً لصلاة الجمعة في مواكبه، فسمع صياحاً عند مسجد الريح، فقال: أي شيء هذا؟ قالوا: سيويه، فقال: استروه عني بالدرق، وهو يصيح: أبا المسك، مدح القط خزي في السعير، لا أعتق الله منك قلامه ظفر، ثم التفت إلى الناس فقال: حصلنا على خصي وامرأة، لا ندرى، يعني بالخصي كافوراً، وبالصبي علي بن الإخشيد، وبالمرأة أمّه⁽²⁾".

(1) ابن زولاق: أخبار سيويه المصري، ص 28.

(2) ابن زولاق: أخبار سيويه المصري، ص 32.

المبحث الثاني: وضعية أهل السنة العلمية والفكرية

أصبحت مصر منذ دخول الإسلام إليها مركزاً علمياً في الدولة الإسلامية كما هي مركز سياسي، وكان لأصحاب النبي ﷺ الذين دخلوا مصرأً أثر كبير في نشر الإسلام والسنة النبوية المطهرة، إذ لم يهتموا خلال القرن الأول الهجري إلا بالدين الإسلامي، وعلومه الجديدة المنبثقة منه⁽¹⁾، وقد انتحى أحد رجال مصر وهو محمد بن الربيع الجيزي بجمع من دخل مصر من الصحابة عد فيه مائة ونيفاً وأربعين صحابياً وأورد أحاديثهم، وما رواه عنهم أهل مصر⁽²⁾؛ وذكر ابن زولاق (387هـ) أن نحواً من ألف دخل مصر من أصحاب النبي، منهم جماعة من أهل بدر، ومنهم من روى عنه⁽³⁾.

حصل جماعة من أهل مصر العلم عن الصحابة، وكان لهم دور مهم في نشر السنة والحديث بل منهم من وسد إليه أمر القضاء كسليم بن عتر التجيبي (ت 75هـ) الذي ولاه معاوية بن أبي سفيان القضاء فأقام قاضياً عشرين سنة، ومنهم عبدالرحمن بن جحيرة الخولاني (ت 83هـ) الذي ولي قضاء مصر لواليتها عبدالعزيز بن مروان، واستمر قاضياً اثني عشر سنة⁽⁴⁾.

ومن أرباب الفقه والعلوم الشرعية في القرن الثاني الهجري: يزيد بن أبي حبيب الأزدي (ت 128هـ) وهو أول من أظهر علم المسائل بالحلال والحرام، ووصفه تلميذه الليث بن

(1) محمد كامل حسين: في الأدب المصري الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى دخول الفاطميين، مطبعة الاعتدال، القاهرة، ص35.

(2) السيوطي: در السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة، تحقيق حمزة الشرتي وآخرون، المكتبة القيمة، القاهرة، ص22؛ وانظر: أحمد أمين: ضحى الإسلام، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1998م، 2/85.

(3) أنظر: فضائل مصر وأخبارها وخواصها، تحقيق على محمد عمر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1999م، ص27.

(4) السيوطي: حسن المحاضرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1430هـ/2009م، 1/130، 129؛ وانظر: أحمد أمين: ضحى الإسلام، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1998م، 2/86.

أهل السنة في مصر الفاطمية..... (358هـ - 567هـ/969م-1171م)

سعد بقوله: "هو سيدنا وعالمنا"⁽¹⁾، وبكبير بن عبدالله الأشج، وعمرو بن الحارث الأنصاري (ت 147هـ)، والليث بن سعد (ت 175هـ)، وعبيد الله بن جعفر⁽²⁾؛ وعبدالله بن لهيعة (ت 174هـ) والذي أكثر من رواية الأحاديث دون أن يحتاط بشأن إسنادها⁽³⁾، والمفضل بن فضالة (ت 181هـ)، ورشيد بن سعد (ت 188هـ)، وعبدالله بن وهب (ت 197هـ)⁽⁴⁾ الذي قيل إنه روى عن الرسول مائة ألف حديث ما جرح في حديث واحد⁽⁵⁾.

وقد بز من وسط هؤلاء الليث بن سعد الذي ترك أثراً كبيراً في المجتمع المصري يتضح من خلال أقوال كبار أهل السنة على عصره ومنها: قول الشافعي: ما فاتني أحد أشد علي فواته من ابن أبي ذئب والليث بن سعد؛ وقال ليث أفتقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به ومن حسن ديانته أنه مع إكثاره عن الزهري سماعاً يروي ما فاته عن يونس بن يزيد وعقيل وغيرهما عن الزهري⁽⁶⁾؛ وقال يحيى بن بكير ما رأيت أحداً أكمل من الليث بن سعد كان فقيه البدن عربي اللسان يحسن القرآن والنحو ويحفظ الحديث والشعر حسن المذاكرة لم أر مثله⁽⁷⁾؛ وقال ابن وهب: والله الذي لا إله إلا هو ما رأينا أحداً قط أفتقه من الليث⁽⁸⁾؛ وقال

(1) السيوطي: مصدر سابق، 1/163؛ وانظر: ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، النجوم الزاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 308/1.

(2) ابن حزم: أصحاب الفتيا من الصحابة ومن بعدهم، تعليق أحمد حسن جابر، هدية مجلة الأزهر، جمادى الآخرة 1413هـ، شعبان 1413هـ، ص 85؛ وانظر: المزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1400هـ/1980م، 2/105؛ السيوطي: حسن المحاضرة، 1/299-302.

(3) ابن خلكان: وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، 1/249.

(4) ابن زولاق: فضائل مصر مصر وأخبارها وخواصها، تحقيق على محمد عمر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1999م، ص 28، 29.

(5) ابن الزيات: الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة، مطبعة بولاق، 1907م، ص 45.

(6) ابن حجر: الرحمة الغيثية بالترجمة الليثية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 1، 1415هـ/1994م، ص 26؛ محمود سعد: فقه الإمام الليث بن سعد في ضوء الفقه المقارن، مطبعة الأمانة، القاهرة، 14، 15.

(7) السيوطي: طبقات الحفاظ، تحقيق على محمد عمر، مكتبة وهبه، القاهرة، ط 1، 1393هـ/1973م، ص 101، 102.

(8) الشيرازي: طبقات الفقهاء، المكتبة العربية، بغداد، 1356هـ، ص 76، 75.

أهل السنة في مصر الفاطمية..... (358هـ - 567هـ/969م-1171م)

شرحبيل بن جميل أدركت الناس أيام هشام الخليفة وكان الليث بن سعد حدث السن وكان بمصر عبيد الله بن أبي جعفر وجعفر بن ربيعة والحارث بن يزيد ويزيد بن أبي حبيب وابن هبيرة وإنهم يعرفون لليث فضله وورعه وحسن إسلامه عن حادثة سنة ثم قال ابن بكير لم أر مثل الليث⁽¹⁾.

نجح الليث بن سعد في تأسيس مدرسة فقهية حديثة سنية بمصر من أبرز رجالها عبدالله بن صالح أبو صالح الجهني المصري الحافظ (ت 223هـ) كاتب الليث بن سعد توفي في يوم عاشوراء وله ست وثمانون سنة، حدث عن معاوية بن صالح وعبد العزيز الماجشون وخلق. قال ابن معين: "أقل أحوال أبي صالح أنه قرأ هذه الكتب على الليث فأجازها له"، وقال ابن ناصر الدين: "روى عنه البخاري في الصحيح وله مناكير"⁽²⁾، وسعد بن كثير بن غفير المصري أكثر من سماعه لليث، وسويد بن أيوب آخر من روى عن الليث بن سعد⁽³⁾، وأبو رجا قتيبة بن سعيد بن طريف الثقفي سمع الليث بن سعد بمصر⁽⁴⁾، والحارث بن مسكين الإمام أبو عمرو (ت 250هـ) قاضي الديار المصرية وله ست وتسعون سنة سأل الليث بن سعد وسمع الكثير من ابن عيينة وابن وهب وأخذ في المحنة فحبس دهرًا حتى أخرجه المتوكل وولاه قضاء مصر وكان من كبار أئمة السنة الثقات، وفقهًا على مذهب مالك⁽⁵⁾؛ وأبو عبد الله محمد بن ربح بن المهاجر التجيبي كان يسكن محلة التجيب بمصر وكان من أثبات المصريين ومتقنيهم سمع الليث بن سعد روى عنه البخاري والحسن بن سفيان الثوري ومحمد بن ريان بن حبيب المصري وغيرهم⁽⁶⁾.

(1) ابن حجر: الرحمة الغيثية، ص 26؛ وانظر: عبدالله شحاته: الإمام المصري الليث بن سعد، دار غريب، القاهرة، 2001م، ص 44.

(2) أبو يعلى الفراء: طبقات الحنابلة، تحقيق محمد حامد الفقى، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، 331/1، وانظر: ابن العماد: شذرات الذهب، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط - محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، 51/1.

(3) ابن العماد: شذرات الذهب، 418، 419/1.

(4) نفسه، 936، 935/3.

(5) ابن العماد: شذرات الذهب، 121/1.

(6) ياقوت: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 54، 16/2.

أهل السنة في مصر الفاطمية..... (358هـ - 567هـ/969م-1171م)

ومن أبرز تلاميذ الليث بن سعد، إسحاق بن الفرات صاحب مالك وقاضي مصر (ت 204هـ)، والذي قال عنه الشافعي: "ما رأيت بمصر أعلم منه باختلاف الناس"⁽¹⁾، وقال ابن عليه: "ما رأيت ببلدكم أحداً يحسن العلم إلا ابن الفرات"⁽²⁾، ومن تلاميذ الليث أيضاً إسحاق بن بكر بن مضر المصري (ت 218هـ) الذي كان يجلس في حلقة الليث ويفتي بقوله ومذهبه⁽³⁾، وأحمد بن يونس بن عبد الأعلى الصدي حدث عن الليث، وكان وكيلاً عنه⁽⁴⁾.

وقد قامت نهضةً تشريعيةً قويةً خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين؛ حيث انتقل الفقه الإسلامي إلى مرحلةٍ جديدة، اقتصرت بظهور الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب الفقهية المشهورة (الحنفي - المالكي - الشافعي - الحنبلي) وفي هذه الفترة بدأت العلوم الفقهية بصفةٍ خاصةً والإسلامية بصفةٍ عامةً تنمو وتستقل⁽⁵⁾.

وبرز بمصر في القرنين الثاني والثالث الهجريين من أصحاب مالك الذين وافقوه في الغالب وخالفوه في القليل عبدالله بن وهب (ت 197هـ)، وأشهب بن عبدالعزيز (ت 204هـ) الذي قال عنه الشافعي: "ما أخرجت مصر أفقه من أشهب لولا طيش فيه"⁽⁶⁾، وعثمان بن أبي كنانة، وعبدالرحمن بن القاسم (ت 194هـ)، الذي غلب عليه تقليد مالك في الأكثر⁽⁷⁾، وعبدالله بن عبدالحكم (ت 215هـ) من قبله، ألقبت إليه رئاسة المالكية بمصر بعد أشهب، وكان من الأئمة المجتهدين، وابنه محمد بن عبدالله بن عبدالحكم (ت 268هـ)، وأصبغ بن الفرج (ت 226هـ)، وكلاهما لم يستهلك في التقليد⁽⁸⁾.

(1) نقلا عن السيوطي: حسن المحاضرة، 1/166.

(2) نقلا عن الكندي: الولاة والقضاة، ص 393.

(3) السيوطي: مصدر سابق، 1/167.

(4) ابن الزيات: الكواكب السيارة، ص 83.

(5) جورجى زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، مطبعة الهلال، مصر، 1902م، 3/79؛ وانظر: صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط منذ الفتح إلى نهاية الدولة الإخشيدية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2000م، ص 269.

(6) نقلا عن السيوطي: حسن المحاضرة، 1/166.

(7) ابن حزم: أصحاب الفتيا من الصحابة ومن بعدهم، ص 85.

(8) نفسه، ص 86؛ وانظر: السيوطي: حسن المحاضرة، 1/305.

أهل السنة في مصر الفاطمية..... (358هـ - 567هـ/969م-1171م)

وسكن الإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت 204هـ) مصر ونشر علمه ومصنفاته بها، وبز من أصحابه المصريين من كان من أهل الاجتهاد كأبي يعقوب يوسف بن يحيى البويطي (ت 231هـ) خليفة الشافعي في حلقة من بعده، وحرملة بن يحيى بن عبدالله التجيبي (ت 243هـ) أحد الأئمة المجتهدين والذي حمل عن الشافعي كتاباً كبيراً يسمى كتاب السنن⁽¹⁾، وإسماعيل بن يحيى المزني (ت 264هـ) الذي حمل عن الشافعي كتابه المسوط، وهو المختصر الكبير والمثورات، وكذا المختصر المشهور⁽²⁾، قال عنه الشافعي: "المزني ناصر مذهبي"، والربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المرادي (ت 270هـ) أول من أملى الحديث بجامع ابن طولون، ومحمد بن عقيل الفرياني (ت 285هـ)، ومحمد بن علي بن يوسف النسائي⁽³⁾.

وتجدر الإشارة إلى أنه لما تكون مذهب أبي حنيفة ومالك وانحاز كل فريق إلى مذهب انقسم العلماء في مصر، وتولى القضاء بها إسماعيل بن اليسع الكندي سنة 164هـ، وكان أول قاضي بمصر يقضى بمذهب أبي حنيفة، فلم يرض عنه أهل مصر، ومنهم الليث بن سعد الذي كتب إلى الخليفة المهدي فعزله⁽⁴⁾.

وقد وقع الخصام والنزاع بمصر حول مسائل الفقه والشريع بين الحنفية والمالكية، وظل الأمر مستمراً حتى قدم الشافعي مصر، وأقام بها خمس سنوات يحرر مذهبه الجديد،

(1) ابن حجر: تولى التأسيس بمعالى ابن إدريس، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 1، 1415هـ/1994م، ص 178؛ هذا وقد أفادنا هذا الفقيه الشافعي العظيم حرمله في تحديد موضع قبر عمرو بن العاص، والذي وقف أمامه كما ورد في نص باكر عولنا عليه في دراسة لنا تحدد بجلاء ضريح الصحابي الجليل عمرو بن العاص، وقد أعدنا دراسة عن هذا الموضوع راقنا لأساتذتنا وأصحابنا بالجامعات المصرية، وأحدثت حراكاً على صفحات الجرائد المصرية والعربية، وأجرينا عدة لقاءات وأحاديث في الإعلام المرئي والمسموع حول هذا الموضوع.

(2) ابن حجر: تولى التأسيس بمعالى ابن إدريس، ص 178.

(3) ابن حزم: أصحاب الفتيا من الصحابة ومن بعدهم، ص 86؛ وانظر: السبكي: طبقات الشافعية، تحقيق محمود محمد الطناحي، دار هجر للتجارة والتوزيع، 93/2؛ الإسنوي: طبقات الشافعية، تحقيق كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2002م، 28/1؛ السيوطي: حسن المحاضرة، 305/1-307، 348.

(4) الكندي: ولاية مصر وقضاتها، ص 371.

أهل السنة في مصر الفاطمية..... (358هـ - 567هـ/969م-1171م)

ويمليه على تلاميذه المصريين كالبويطى والمزنى والربيع المرادى. فنال إليه كثير من المصريين لعروبته وفرشيته وفصاحته وقوة حجته، وانتشر مذهبه رغم عداء المالكية له ولأتباعه، ومن ثم أصبحت الخصومة على أشدها بين فقهاء الأحناف والمالكية والشافعية، والتي أدت أحياناً إلى الشر وإلى الإيقاع بالخصوم، كما فعل محمد بن أبى الليث قاضى مصر الحنفى الذى انتهز محنة خلق القرآن، وأوقع بأصحاب مالك والشافعى، ومنع فقهاءهم من الجلوس فى المسجد⁽¹⁾.

وقد كان لأسرة ابن عبدالحكم الفقيه المالكى أثر كبير فى توجيه الأحداث السياسية، والتصدى لفتنة خلق القرآن. فقد نزلت الأسرة مصر فى القرن الأول الهجري ببلدة الحقل قرب العقبة، ثم انتقلت إلى الفسطاط عاصمة البلاد. وتفقهت فى الدين وتولوا مناصب كبرى فى البلاد، وبسبب ذلك أتيحت لأبناء الأسرة فرصة قيمة لدراسة أحوال البلاد وجيرانهم عن كتب فى المجال الدينى والفكرى والسياسى⁽²⁾.

لقد زار الإمام الشافعى مصر فى عام 199 هـ ونزل ضيفاً على عبد الله بن عبد الحكم. فعاصر آل عبدالحكم الحركة الفكرية والدينية التى أحدثها الإمام فى مصر. وبعد ذلك، تولى عبدالله بن عبدالحكم رئاسة المالكية فى مصر، حيث جاء علماء الأندلس يدرسون على يديه مذهب مالك بن أنس، وكان أولاده الثلاثة الكبار من أفضل العلماء وكانوا شيوخاً وأساتذة أيضاً ونال أخوهم عبد الرحمن صاحب كتاب الفتوح على أيديهم علماً ودراية⁽³⁾، ولما اعترضت جماعة من علماء مصر فى العام 214هـ على تعيين الخليفة المأمون لأخيه المعتصم والياً على مصر وكتبوا إليه بذلك، ألقى القبض على نفر من كبار أهل مصر وكان من بينهم عبد الله بن عبد الحكم فسجن حتى توفى؛ وحدثت أزمة خلق القرآن التى أثارها المعتزلة أيام المأمون، ووصلت الأزمة إلى مصر، وعانى منها آل عبدالحكم الذين كانوا على مذهب مالك بن أنس؛ وحين ولي المعتصم اشتدت الأزمة فى مصر، حيث أرسل المعتصم إلى

(1) الكندى: ولاية مصر وقضاتها، ص450.

(2) محمد عبدالله عنان: مؤرخو مصر الإسلامية، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1999م، ص9.

(3) ابن حجر: تهذيب التهذيب، دار الكتب العلمية، بيروت، 208/6.

أهل السنة في مصر الفاطمية..... (358هـ - 567هـ/969م-1171م)

قاضي مصر محمد بن أبي الليث يأمره بامتحان الناس في القول بخلق القرآن فشهر بهم وناهم الأذى ثم قبض عليهم⁽¹⁾، وعقدت محكمة حينها وعرفت الدعوى باسم قضية بني عبد الحكم بسبب الأحكام القاسية التي نزلت بهم حيث حكم عليهم بغرامة مقدارها 1,404,000 دينار ثم صودرت أموالهم لتحصيل الغرامة وزج بهم جميعاً في السجن حيث مات الأخ الأكبر عبد الحكم بن عبد الله بن عبد الحكم. وبعد ذلك بثلاثة أشهر، أخرجوا من السجن وأعيدت أموالهم، ولكنهم اعتزلوا الحياة العامة⁽²⁾.

تطوّر الفقه الإسلامي في مصر خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين؛ فقد تعادّل المذهب الشافعي والمالكي، وكان هناك مذهب أقلّ شأنًا تُؤيِّده الخلافة وهو المذهب الحنفي مال إليه من المصريين أحمد بن أبي عمران، وأبو بكر بكار بن قتيبة القاضي (ت 270هـ)، وأبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي (ت 321هـ)⁽³⁾ الذي انتهت إليه رئاسة الحنفية بمصر⁽⁴⁾، وأما المذهب الحنبلي فلم يكن له ذُكرٌ في مصر في هذه الأوقات، وكذلك المذاهب غير السنيّة؛ كالمذهب الشيعي الذي لم يكن له وجودٌ إلا في ظروفٍ سياسيّةٍ معيّنة⁽⁵⁾. ونعرف من المصادر أن أحمد بن طولون عضد المذاهب الفقهية الثلاثة المالكية والشافعية والحنفية، وكان يحضر دروسها ويجري على أتباعها الأرزاق⁽⁶⁾.

وكان للشافعيّة وأتباعهم في سنة 326هـ خمس عشرة حلقة بمسجد عمرو بن العاص، وللمالكيين مثلها، ولأصحاب أبي حنيفة ثلاث حلقات فقط، وقد كانت المنافسة تشتعل،

(1) إبراهيم العدوي: مصر الإسلامية مقوماتها العربية ورسالتها الحضارية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص 258.

(2) الكندي: الولاة والقضاة، طبعة روما، ص 136-139؛ وانظر: إبراهيم العدوي: ابن عبدالحكم رائد المؤرخين العرب، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1963م، ص 15-35.

(3) ابن حزم: أصحاب الفتيا من الصحابة ومن بعدهم، ص 86.

(4) عبدالقادر الحنفي: الجواهر المضية في طبقات الحنفية، تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو، دار هجر، 1413هـ/1993م، 1/271؛ وانظر: السيوطي: حسن المحاضرة، 1/349.

(5) سيدة إسماعيل كاشف: مصر في عصر الإخشيديين، ص 287، 306؛ وانظر: صفي علي محمد: الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص 221.

(6) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، 3/449.

أهل السنة في مصر الفاطمية..... (358هـ - 567هـ/969م-1171م)

والنزاع يقوى ويشتدُّ في بعض الأوقات بين أصحاب المذاهب المختلفة بمصر، ففي هذه السنة عاد أصحاب مالك والشافعي إلى القتال في المسجد الجامع العتيق. فلما زاد قتالهم أرسل الإخشيد، ونزع حصرهم ومساندتهم وأغلق الجامع، وكان يفتح في أوقات الصلوات، ثم سئل الإخشيد فيهم فردَّهم⁽¹⁾.

وكان في مقدمة فقهاء الشافعية في مصر الإخشيدية أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن جعفر المعروف بابن الحداد (ت 344 هـ)، والذي كان فقيهاً محققاً غواصاً على المعاني، تولى القضاء بمصر والتدريس في جامع الفسطاط⁽²⁾، وكانت الملوك والرعية تُكرِّمه وتعظمه، وتقصد في الفتاوى والحوادث، وكان يُقال في زمنه: عجائب الدنيا ثلاث: غضب الجلاد، ونظافة السهاد، والرد على ابن الحداد، وكان مُتصرفاً في علوم كثيرة من علوم القرآن الكريم، والفقه، والحديث، والشعر، وأيام العرب، والنحو واللغة وغير ذلك من العلوم الأخرى، ولم يكن في زمانه مثله، وكان محبباً عند كل الناس، الخاص منهم والعام، وحضر جنازته الأمير أبو القاسم أنوجور بن الإخشيد وكافور وجماعة من أهل البلد⁽³⁾؛ ولابن الحداد كتاب يُسمَّى "الفروع" في المذهب، وهو كتابٌ صغير الحجم كثير الفائدة⁽⁴⁾، وقد أنشد بعض الشعراء أبياتاً في أبي بكر بن الحداد، يُشيدون فيه إلى قيامه بأعمال القضاء دون تقليد رسمي، ومن تلك الأبيات:

قُولُوا لِحَدَادِنَا الْفَقِيهِ الْعَالِمِ النَّابِهِ الْوَجِيهِ
وَالْمُسْتَقْعِ الْمُسْتَطِيلِ لَوْلَا مَا فِيهِ مِنْ نَخْوَةٍ وَتِيهِ

(1) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ص 173؛ وانظر: سيدة إسماعيل كاشف: مصر في عصر الإخشيديين، ص 306.

(2) أحمد أمين: ظهر الإسلام، 1/163؛ وانظر: أحمد محمد الحوفي، الطبري، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، 1390هـ/1970م، ص 21.

(3) ابن خلكان: وفيات الأعيان، 2/327؛ وانظر: سيدة إسماعيل كاشف: مصر في عصر الإخشيديين، ص 306.

(4) ابن خلكان: وفيات الأعيان، 2/327.

حَكَمْتَ حُكْمًا بَغَيْرِ عَقْدٍ وَغَيْرِ عَهْدٍ نَظَرْتَ فِيهِ
أَحَلَلْتَ فَرْجًا لِمُبْتَغِيهِ وَوَزَّرَهُ وَزَّرُ مَنْ يَلِيهِ

وقد ولى الإخشيدُ الحسين بن أبي زرعة القضاء على أن ينظر محمد بن أحمد بن الحداد في القضاء حتى يصل الكتاب من بغداد بولاية ابن أبي زرعة⁽¹⁾ ولا بُدَّ أن يكون السبب في اختيار ابن الحداد للنيابة هو أنه كان معروفًا بالعلم الواسع حتى سُمِّي "فقيه الديار المصريَّة"، وظلَّ أبو بكر بن الحداد ينظر في مشاكل الناس وقضاياهم في داره وفي الجامع حتى ورد تقليد ابن أبي زرعة على القضاء من قبل ابن أبي الشوارب قاضي قضاة بغداد في سنة 325هـ؛ ومن فقهاء الشافعيَّة الذين أدركوا العصر الإخشيدي أبو عبد الله الحسين بن أبي زرعة الدمشقي المتوفَّى سنة 327هـ، وقد تولَّى القضاء في بداية حكم الإخشيد⁽²⁾، ومنهم أبو بكر محمد بن بشر بن عبد الله الزبير المتوفَّى سنة 332هـ، وأبو رجاء محمد بن أحمد بن الربيع الأسواني المتوفَّى سنة 335هـ، والمشهور أنَّه كان أديبًا شاعرًا، وأنَّه نظم قصيدة طويلة بلغت ثلاثين ومائة ألف بيت، نظم فيها قصص الأنبياء وغير ذلك من كتب الطب والفلسفة.

ومن فقهاء الشافعيَّة في مصر الإخشيدية عبدالرحمن بن سلهويه الرازي، قدم إلى مصر، وتفقَّه بها، وأفتى ودرس في جامعها العتيق وتوفَّى بها سنة 339هـ، ومحمد بن إبراهيم بن الحسين المعروف بابن سكرة، وهو بغدادي الأصل، سكن مصر وحدَّث بها، وتوفَّى سنة 342هـ، ومنهم عبدالله بن محمد الخصبي، له كتاب في الفقه يسمى "المجالاة"، ولي القضاء في دمشق، ثم قضاء مصر سنة 340هـ⁽³⁾ فأقام بها إلى أن توفَّى بها سنة 348هـ، وولي بعده ابنه محمد، فأقام شهرًا واحدًا، ثم مرض وتوفَّى في سادس ربيع الأول من السنة نفسها⁽⁴⁾ ومحمد بن موسى بن عبدالعزيز الكندي، وكان يُلقَّب بسبيويه، وكان شاعرًا فصيحًا، يتظاهر بالاعتزال، أخذ عن

(1) الكندي: أخبار قضاة مصر، تحقيق حسين نصار، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 1426هـ - 2005م، ص 169.

(2) الكندي: مصدر سابق، ص 170؛ وانظر: سيدة إسماعيل كاشف: مصر في عصر الإخشيديين، ص 207.

(3) السيوطي: حسن المحاضرة، ج 1، ص 168، وانظر: سيدة إسماعيل كاشف: مرجع سابق، ص 307.

(4) الكندي: أخبار قضاة مصر، ص 173، 174.

أهل السنة في مصر الفاطمية..... (358هـ - 567هـ/969م-1171م)

ابن الحداد، وُلِدَ سنة 284، وتُوفِّي سنة 358هـ، ومحمد بن عبدالعزيز بن حسون الإسكندراني الفقيه الشافعي، حدّث بدمشق، وتُوفِّي سنة 359هـ⁽¹⁾.

أمّا فقهاء المالكيّة، فهناك عددٌ منهم أدرك العصر الإخشيدي منهم هارون بن محمد بن هارون الأسواني المتوفّي سنة 327هـ، وعلي بن عبدالله بن أبي مطر الإسكندراني المتوفّي سنة 330هـ⁽²⁾ ومنهم أيضًا محمد بن يحيى بن مهدي الأسواني (ت 340هـ)، ولي قضاء مصر بأمر من محمد بن طغج الإخشيدي، فنظر وحكم، وركب لطلب هلال شهر رمضان، فأقام ينظر خمسة أيام، وكانت له حلقة في جامع عمرو ويتناظر عنده الفقهاء، ويشغل بالعلم من الصباح حتى الزوال ثم من بعد صلاة الظهر حتى العصر⁽³⁾، وبكر بن محمد بن العلاء القشيري، وأصله من البصرة ثم رحل إلى مصر ومات بها سنة 344، ومنهم أحمد بن محمد بن جعفر الأسواني المتوفّي سنة 364 أو سنة 374، ومحمد بن يوسف بن بلال الأسواني (ت 376هـ)، وأبو إسحاق محمد بن القاسم بن شعبان (ت 355هـ).

لم يتوقف دور أهل السنة قبل العصر الفاطمي على الفقه فحسب بل وجدناهم يقبلون على علوم الحديث أيضًا ومن ثم فقد برز من عيون المحدثين والمسندين بالقرن الثالث الهجري حرملة بن يحيى التجيبي (ت 243هـ)، ومحمد بن رمح التجيبي (ت 242هـ)، وعيسى بن حماد (ت 248هـ)، والربيع بن سليمان الجيزي (ت 256هـ)، ويونس بن عبد الأعلى (ت 264هـ)، وإبراهيم بن مرزوق بن دينار البصري (ت 270هـ) نزيل مصر، روى عنه النسائي والطحاوي⁽⁴⁾.

وظهر في القرن الرابع الهجري ثلة من محدثي مصر، منهم أبو جعفر الأزدي المصري الحنفي المعروف بالإمام الطحاوي (ت 321هـ)، وكان ثقةً ثبتًا فقيهاً، ومن مؤلفاته: "معاني

(1) السيوطي: حسن المحاضرة، 1/168، 169.

(2) سيده إسمايل كاشف: مرجع سابق، ص 307.

(3) الكندي: أخبار قضاة مصر، ص 171؛ وانظر: القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق أحمد بكير، مكتبة الحياة، بيروت، مكتبة الفكر، طرابلس، 3/279؛ ابن حجر: رفع الإصر عن قضاة مصر، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1998م، ص 429.

(4) ابن زولاقي: فضائل مصر، ص 32، 33؛ وانظر: السيوطي: حسن المحاضرة، المطبعة الشرقية، القاهرة، 1909م، 1/309، 398، 288.

أهل السنة في مصر الفاطمية..... (358هـ - 567هـ/969م-1171م)

الآثار"، "أحكام القرآن"، "كتاب الشروط"⁽¹⁾، والحافظ الإمام أبو بكر أحمد بن عمرو الطحّان (ت 333هـ)، والحافظ الإمام أبو سعيد عبدالرحمن بن أحمد بن يونس (ت 347هـ)، سمع أباه والنسائي، وكان خبيراً بأيام الناس وتواريخهم⁽²⁾، والمحدث حمزة بن محمد بن علي بن العباس الكناني (ت 357هـ) ملى جزء البطاقة عن النسائي، اتفق العلماء على تقدّمه في معرفة الحديث، وكان مشهوراً بالورع والعبادة، ومنهم الحافظ ابن السكن أبو علي سعيد بن عثمان بن سعيد بن السكن البغدادي نزيل مصر (ت 353هـ)، وُلِدَ سنة 294هـ، وسمع أبا القاسم البغوي وابن جوصا، وعنه أخذ عبدالغني بن سعيد، وقد صنّف "الصحيح المتقى"، ومنهم الحافظ الإمام الجوّال "أبو بكر النقاش" محمد بن علي بن حسن المصري نزيل تنيس، وقد وُلِدَ سنة 282هـ، وسمع النسائي وأبا علي، ومات في شعبان سنة 369هـ⁽³⁾، ومنهم الحسن بن رشيق الإمام أبو بكر محمد العسكري المصري (ت 370هـ) أخذ الحديث عن النسائي، وعنه أخذ الدارقطني وعبدالغني، وقال عنه ابن الطحّان: ما رأيت عالماً أكثر حديثاً منه، ومنهم أيضاً ابن النحاس المصري الحافظ الإمام أبو العباس أحمد بن محمد بن عيسى بن الجراح (ت 376هـ)، نزيل نيسابور، وقد قام بأسفارٍ طويلة، وسمع أبا القاسم البغوي، وتوفّي عن خمسٍ وثمانين سنة، ومنهم ابن مسرور عبدالواحد بن محمد بن أحمد (ت 378هـ)، نشأ في بلخ، وتربّى وعاش وأقام بمصر، ومنهم أيضاً أحمد بن أبي الليث نصر بن محمد الحافظ أبو العباس (ت 356هـ)، كان شديد القوّة في الحفظ⁽⁴⁾، ومنهم الوزير أبو الفضل جعفر بن الفرات المعروف بابن خزابة (ت 391هـ) نزيل مصر ووزير كافور، وحدث عن محمد بن هارون الحضرمي وغيره، ورحل إليه الدارقطني، وعزم على التعليق على مسنده، قال السلفي: "كان من الحفّاظ المتقنين يملي ويروي في حال الوزارة، عندي من أماليه ومن كلامه على الحديث الدال على حدة فهمه وقوّة علمه، وخزابة اسم جدّته أم أبيه"⁽⁵⁾.

(1) ابن خلكان: وفيات الأعيان، 149/1، وانظر: السيوطي: مصدر سابق، 147/1.

(2) السيوطي: حسن المحاضرة، 147/1، وانظر: سيده إسمايل كاشف: مصر في عصر الإخشيديين، ص 305؛ صفى علي محمد: الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص 163.

(3) السيوطي: حسن المحاضرة، 147/1، 148، انظر: سيده كاشف: مرجع سابق، ص 305.

(4) السيوطي: مصدر سابق، 147/1، وانظر: الأدفوي: الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء أهل الصعيد، تحقيق سعد محمد حسن، ومراجعة: طه الحاجري، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966م، ص 639؛ سيده كاشف: مرجع سابق، ص 305.

(5) نقلا عن: ياقوت الحموي: معجم الأدياء، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، 376/2، 377، وانظر: سيده إسمايل كاشف: مصر في عصر الإخشيديين، ص 305.

أهل السنة في مصر الفاطمية..... (358هـ - 567هـ/969م-1171م)

وإلى جانب هؤلاء الذين كانوا بمصر في عصر الدولة الإخشيدية، وكانوا على درجة عالية من حفظ الحديث ونقده، فقد وجد جماعة آخرون من المحدثين الذين لم يبلغوا درجة الحفظ والذين انفردوا بعلو الإسناد، ومن هؤلاء: أبو جعفر أحمد بن عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المالكي (ت 322هـ)، وكان من أهل العلم والحفظ، وقد حدث بكتب أبيه كلها من حفظه عندما كان بمصر، ولم يكن معه كتاب يُحدث منه، وهي إحدى وعشرون مُصنَّفًا، وقد ولي قضاء مصر لمدة شهرين ونصف، وأبو عبدالله بن أحمد بن بدر الربيعي البغدادي (ت 329هـ)، وقد حدث عن عباس الدوري وطبقته، وقد ولي قضاء مصر، وله عدة تصانيف، وقد ضعفه أكثر من واحد في الحديث، وتوفي وله بضع وسبعون سنة، ومحمد بن أيوب (ت 341هـ) نزيل مصر، روى عن هلال بن العلاء وطائفة أخرى، وعثمان بن محمد بن أحمد السمرقندي (ت 345هـ)، روى بمصر عن أحمد بن شيبان الرملي وابن أمية الطرطوسي وطائفة أخرى، توفي، وله خمس وتسعون سنة، وأبو بكر محمد بن علي الماذرائي (ت 345هـ)، وقد حدث عن العطاردي، وكان من صلحاء الكبراء، وأحمد بن مهران السيرافي (ت 346هـ) حدث عن الربيع المرادي، والقاضي بكار، وأحمد بن إبراهيم بن عطية البغدادي الذي يُعرف بابن الحداد (ت 361هـ)⁽¹⁾.

كذلك أسهم أهل السنة قبل العصر الفاطمي في تفسير القرآن، ومن شارك منهم في هذا الفن: أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي النحاس. أخذ بالعلوم والآداب الإسلامية التي كانت منتشرة في عصره، والتي كان لها أثر كبير جدًا في وضعه التأليف في تفسير القرآن الكريم⁽²⁾، وأبو بكر الأدفوي (محمد بن علي بن أحمد الإمام أبي بكر الأدفوي المصري المقرئ النحوي المفسر) (ت 388هـ)، كان عالمًا بالعلوم الدينية في عصره وملهمًا بها، وكان لهذه العلوم تأثير على تفسيره، فقد سمع الحديث من سعيد بن السكن وغيره، وكان قد صاحب أبا جعفر النحاس ولازمه، وبرع في علوم القرآن الكريم، وكان طلاب العلم

(1) السيوطي، حسن المحاضرة، 1/156، وانظر: سيدة كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ص 306.

(2) ابن خلكان، وفيات الأعيان، 1/58؛ وانظر: أحمد أمين، ظهر الإسلام، 1/180؛ أحمد محمد الحوفي، الطبري، ص 22؛ صفى علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص 180.

أهل السنة في مصر الفاطمية..... (358هـ - 567هـ/969م-1171م)

مُعتادين على مجالسه، حيث أخذ عنه جماعةٌ كبيرةٌ منهم⁽¹⁾، ولأبي بكر الأدفوي كتابٌ في تفسير القرآن الكريم، يقع في مائة وعشرين مجلداً، قال الذهبي: "منه نسخة بمصر بوقف القاضي الفاضل عبد الرحيم"⁽²⁾.

وكما شارك أهل السنة في تفسير القرآن، فقد كانت لهم مشاركات في القراءات ومن أبرزهم في القرنين الثاني والثالث الهجريين عثمان بن سعد المصري (ت 197هـ) الذي ينحدر من أصل قبطي وكان مولى لآل الزبير بن العوام، ولقب بورش لشدة بياضه وتنسب إليه إحدى القراءات السبع المشهورة، ومن أئمة القراءات أيضاً أبو يعقوب الأزرق يوسف بن عمرو المصري (ت 240هـ) أخذ عن ورش وخلفه في الإقراء بالديار المصرية⁽³⁾، ولكنه انفرد عن ورش بتغليظ اللام وترقيق الراء، وكان له أثر كبير في مصر والمغرب، حتى أن المصريين ما كانوا يعرفون إذ ذاك غير ورش وتلميذه أبي يعقوب الأزرق⁽⁴⁾؛ وانتقل علم القراءات عن القراء المصريين إلى المغرب والأندلس، مع بعض الآراء الخاصة كتلك التي تميز بها أبو يعقوب الأزرق عن شيخه ورش، وكذا عن نافع⁽⁵⁾.

ومنهم في القرن الرابع الهجري: القارئ أبو عبدالله الديباجي التستري - محمد بن سعيد بن عبدالرحمن، وقد قرأ بمصر حتى وفاته سنة 330هـ، وعامر بن أحمد بن حمدان المقرئ النحوي المصري (ت 333هـ)، من أصحابه أحمد بن هلال، وقد قرأ على محمد بن علي الأدفوي، وعامة أهل مصر، وله مؤلفٌ في اختلاف السبعة، ومحمد بن عبدالعزيز بن منير (ت 339هـ) نزيل مصر، قرأ على أحمد بن هلال، وكان بصيراً بمذهب مالك، وحمدان بن عون المصري (ت 345هـ) أحد الحذاق في القراءة، وقد قرأ على أحمد بن هلال ثلاثمائة ختمة، ثم

(1) أحمد محمد الحوفي، الطبري، ص 20.

(2) السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، مطبعة السعادة، القاهرة، 1326هـ، ص 109، وانظر: صفي علي محمد: مرجع سابق، ص 182.

(3) السيوطي: حسن المحاضرة، 277/1؛ وانظر: أحمد محمد الحوفي، الطبري، ص 20؛ السيد عبدالعزيز سالم: تاريخ مصر الإسلامية، ص 108.

(4) السيوطي: حسن المحاضرة، 278/1.

(5) محمد كامل: في الأدب المصري الإسلامي، ص 37.

أهل السنة في مصر الفاطمية..... (358هـ - 567هـ/969م-1171م)

على إسماعيل بن عبدالله النحاس ختمتين، وقرأ عليه عمر بن محمد بن عراك، ومنهم أحمد بن أسامة بن أحمد بن عبدالرحمن بن عبدالله بن السمح أبو جعفر بن أبي سلمة التميمي المصري المقرئ، قرأ لورش على إسماعيل بن عبدالله النحاس، وقرأ عليه محمد بن النعمان، وعبدالرحمن بن يونس، وقد تُوفِّي سنة 342هـ، وقد جاوز المائة، وقيل: مات في رجب سنة 356هـ، ومحمد بن عبدالله المعافري، قرأ على أبي بكر بن حميد بن القباب، وقرأ عليه خلف بن إبراهيم بن خاقان، وقد توفي بمصر سنة بضع وخمسين وثلاثمائة، وأبو بكر بن عبدالله بن مالك بن عبدالله بن سيف التجيبي المقرئ المصري، شيخ الإقليم في القراءات في زمانه، وقد قرأ على أبي يعقوب الأزرق، وعمر دهرًا طويلًا، وقد حدّث عن محمد بن رمح صاحب الليث بن سعد، وحدّث عنه ابن يونس، وقد مات في جمادى الآخرة سنة 357هـ⁽¹⁾، والمقرئ أحمد بن عبدالعزيز بن بدّهن (ت 359هـ) نزيل مصر، وقد قرأ على أحمد بن سهل الإشناني، وابن مجاهد، وقد حذق ومهر وطال عمره، واشتهر، وكان من أطيب الناس صوتًا وأفصحهم لسانًا، أخذ عنه عبدالمنعم بن غلبون وابنه طاهر، ومنهم عبدالمنعم بن عبيدالله بن غلبون أبو الطيب الحلبي (ت 389هـ) كان أستاذًا ماهرًا، وقد انتقل إلى مصر فسكنها، وألّف كتاب الإرشاد، وكان الوزير الإخشيدى جعفر بن الفضل بن الفرات (ت 391هـ) معجبًا به، وكان يحضر مجلسه، وظلّ ابن غلبون يقرأ بمصر حتى تُوفِّي بها.

وتجدر الإشارة إلى أن أهل السنة بمصر شاركوا بنصيب وافر في الفرائض، وفي النحو، والشعر، وعلم الكلام، والتاريخ والنسب، والزهد والوعظ، وقد أحصى ابن زولاق طائفة في كل فن وعلم مما سبق⁽²⁾.

وقد ساعد أهل السنة على القيام بمهامهم بشأن الحركة الفكرية حرص الدولة الإخشيدية على تحسين وضعية الفقهاء والعلماء، ومن ذلك أن كافرًا أمر بعشرين ألف دينار لتوزّع على فقهاء الشافعية عندما سمع أن الخليفة عبدالرحمن الناصر الأندلسي أرسل عشرة

(1) السيوطي، حسن المحاضرة، 1/ 208، 209، وانظر: صفى علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص 191، 192، 190.

(2) أنظر: فضائل مصر، ص 34-42.

آلاف دينار لتُفرَّق على فقهاء المالكية⁽¹⁾، وأعدق الوزير جعفر بن الفرات المعروف باسم "ابن خزابة"، على العلماء، وأجزل صلاتهم، وظلَّ يقودُ الحركة العلمية بمصر طوال وزارته، التي امتدَّت نحو عشرين عامًا من أيَّام كافور إلى قرب نهاية الدولة الإخشيدية⁽²⁾.

وقد تنوَّعت مراكز الحركة العلمية التي ساعدت العلماء والفقهاء من أهل السنة على نشر فكرهم وعلمهم؛ فكان منها العام المتمثِّل في المساجد وسُوق الورَّاقين، ومنها الخاص المتمثِّل في مجالس الأمراء وعلية القوم⁽³⁾ والتي كانت منتشرة في ذلك العصر، وقد كان لأمرء الدولة الإخشيدية دورهم التي جعلوها مقرًّا لاجتماع العلماء والأدباء والفقهاء وغيرهم من أُولي العلم، وكان بلاطهم حافلًا أيضًا بكلِّ هذه الطوائف؛ ممَّا ساعد على ازدهار الحركة الفكرية في وقتٍ كانت المدارس والجامعات غائبة عن الوجود.

وكان مركزُ الحركة العلمية والأدبية في مصر الإخشيدية وقلبها النابض في ذلك العصر جامع عمرو بن العاص فلم تقتصر أهمية مسجد عمرو بن العاص على أداء الشعائر الدينية فحسب، بل كان هذا المسجد كغيره من المساجد الجامعة في الأمصار الإسلامية، فكان دارَ عبادة وإدارة وقضاء، ثم مدرسة جامعة تُعقد فيها مجالس العلوم والآداب على اختلافها⁽⁴⁾، ومن أبرز الحلقات العلمية التي شهدها جامع عمرو حلقة الشافعي، وحلقة تلميذه البويطي من بعده، وحلقة ابن عبدالحكم، والتي اشتهرت باسم البركة⁽⁵⁾، وكان للشافعية في سنة 326هـ بجامع عمرو خمس عشرة حلقة، وللمالكية مثلها، ولأصحاب أبي حنيفة ثلاث حلقات، وقد أدَّى شدة التنافس والنقاش بين أصحاب هذه المذاهب إلى المقاتلة في المسجد⁽⁶⁾.

(1) علي حسني الخربوطي: مصر العربية الإسلامية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص 142.

(2) نجوى معتصم أحمد: الغزل في الشعر المصري، من القرن الثالث إلى نهاية العصر الفاطمي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 1، 1426هـ - 2005م، ص 22.

(3) ابن زولاق، أخبار سيويه المصري، ص 5، انظر: صفي علي محمد، الحركة العلمية، ص 61.

(4) عبدالرحمن زكي: الفسطاط وضاحياتها العسكر والقطائع، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1966م، ص 41؛ وانظر: صفي علي محمد: مرجع سابق، ص 63.

(5) على مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1994م، 7/4.

(6) عبدالرحمن زكي: مرجع سابق، ص 42، 43.

وكان من أهم هذه المراكز الأسواق التي كانت موثلاً للدارسين يتجادبون فيها أطراف الحديث، ويُقيمون المنافسات والمناظرات العلمية⁽¹⁾. ومن أهم الأسواق التي اشتهرت بعد ذلك في مجال الحياة الفكرية وذاع صيتها ما أُطلق عليها "أسواق الورّاقين"⁽²⁾، يقول ابن زولاق: "حدثني من حضره يوم الجمعة في سوق الورّاقين في جمع كبير من الحاضرين⁽³⁾...". وكانت هناك مجالس أخرى للعلم والفقّه لا يحضرها إلا الخاصّة؛ مثل دور الأمراء والوزراء، حيث كانت تجمع بين العلم والأدب، والثقافات العامّة، وكان العصر الإخشيدى غنيّاً بمثل هذه المجالس⁽⁴⁾، ومنها دار الإخشيد، ودار الوزير الفضل بن جعفر بن الفرات، ودار فاتك الإخشيدى أحد أمراء الدولة الإخشيدية والذي كان منافساً خطيراً لكافور⁽⁵⁾.

(1) هالة شاكر عبدالرحمن: الورق والوراقون في العصر العباسي، عين للدارسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط1، 1424هـ/2004م، ص204؛ وانظر: صفي علي محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص7 وما بعدها.

(2) ابن زولاق: أخبار سيويه المصري، ص18؛ وانظر: أحمد أمين: ظهر الإسلام، 1/164؛ سيدة إسماعيل الكاشف: مصر في عصر الإخشيديين، ص303؛ علي حسن الخربوطلي: مصر العربية الإسلامية، ص142.

(3) ابن زولاق: أخبار سيويه المصري، ص18، 19.

(4) نفسه، ص5، وانظر: سيدة إسماعيل كاشف: مرجع سابق، ص304؛ أحمد أمين: ظهر الإسلام، 1/164؛ علي حسن الخربوطلي: مصر العربية الإسلامية، ص142؛ صفي علي محمد: مرجع سابق، ص75.

(5) ابن خلكان: وفيات الأعيان، 1/614، 331؛ وانظر: ياقوت الحموي: معجم الأدباء، 7/163؛ صفي علي محمد: مرجع سابق، ص75.

المبحث الثالث: الدور الديني لأهل السنة

وقبل أن نختم الحديث عن وضعية أهل السنة في المجتمع المصري قبل العصر الفاطمي فلا بد وأن نشير إلى دورهم الديني بمصر والذي تمثل في مواجهة المعتقدات والأفكار المخالفة لما عليه أهل السنة والجماعة، ومن ذلك موقفهم من محنة خلق القرآن، ورفضهم لها رفضاً قاطعاً والذي أدى إلى الزج بعدد كبير منهم في السجون، وهروب كثرة كاثرة من الناس لا سيما من أنكر القول بخلق القرآن، وتوقيف عدد من الشهود الذين رفضوا القول بخلق القرآن⁽¹⁾.

وقد وصف لنا الكندي ما وقع لأهل السنة بشأن موقفهم فقال: "ورد كتابه - أرى الخليفة الواثق - على محمد بن أبي الليث القاضي بمصر فأمر بامتحان الناس أجمع فلم يبق أحد من فقيه ولا محدث ولا مؤذن ولا معلم حتى أخذ بالمحنة، فهرب كثير من الناس وملئت السجون بمن أنكروا المحنة وأمر ابن أبي الليث بالاكتاب على المساجد بفسطاط مصر: لا إله إلا الله رب القرآن المخلوق. فكتب ذلك ومنع الفقهاء من أصحاب مالك والشافعي من الجلوس في المسجد وأمرهم ألا يقربوه"⁽²⁾؛ وكان ممن عذب في هذه الفتنة الفقيه المالكي محمد بن عبدالله بن عبدالحكم حيث طيف به ينادى بخلق القرآن⁽³⁾، وكذا عذب آل عبدالحكم وسجنوا كما أشرنا من قبل. كما تعرض ذو النون المصري للتعذيب حتى أقر بالقول بخلق القرآن⁽⁴⁾. كذلك تعرض أبو يعقوب يوسف بن يحيى البويطي (ت 231 هـ) للتعذيب حيث حمله القاضي ابن أبي الليث من مصر إلى العراق لامتحان فامتنع عن الجواب، وقيد وسجن وهو يقول: والله لأموتن في حديدي هذا حتى يأتي من بعدي قوم يعلمون أنه مات في هذا الشأن قوم في حديدهم⁽⁵⁾!.

(1) الكندي: الولاية والقضاة، ص 447.

(2) أنظر: الولاية وكتاب القضاة، ص 451.

(3) نفسه، ص 452؛ وانظر: إبراهيم العدوي: مصر الإسلامية، ص 258.

(4) الكندي: الولاية وكتاب القضاة، ص 453.

(5) الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسى، مؤسسة الرسالة، ط 11،

1419هـ/1998م، 61/12.

أهل السنة في مصر الفاطمية.....(358هـ - 567هـ/969م-1171م)

وبمجرد وصول الأمر من الخليفة المتوكل إلى والى مصر بمنع الجدل في القرآن سنة 234هـ⁽¹⁾، وجدنا أهل السنة المصريين ينتفضون لتعقب رؤوس المعتزلة لا سيما ابن أبي الليث الذى كان يمتحن المصريين فى قضية خلق القرآن، فقد وثبوا على مجلسه ورموا بحصره وغسلوا موضعه بالماء فى شعبان 235هـ⁽²⁾.

(1) الكندى: مصدر سابق، ص 197.

(2) نفسه، ص 463.